تدمر: زهرة الصحراء وملكتها زنوبيا: عشترت المحاربة بين الحقيقة والخيال

فؤاد يوسف قزانجي

نشأت دولة تدمر في القرن الثاني الميلادي حيث كانت تضم الجزء الشمالي من الصحراء السورية بين الفرات والبحر المتوسط. وبعد سقوط مملكة الأنباط وعاصمتها سلع "بيترا" عام ١٠٦م، ارتفع شأن مملكة تدمر، فأصبحت مركزا للتجارة في بلاد الهلال الخصيب. وبعد قرن من الزمن اتسع نفوذها حينما أصبحت تحمي الحدود الشرقية للأمبراطورية الرومانية ضد غزوات الفرس والبدو، ووصلت الى ذروة مجدها في زمن الملكة زنوبيا التي تعد من أشهر نساء الشرق بعد بلقيس وسمورامات "سميراميس" وكليوباترا. وخلال سنوات قليلة من حكمها استولى جيشها على أراضي شاسعة من الهلال الخصيب بعد ان طردت منها الحاميات الرومانية.

جاء ذكر تدمر أو تدمورا في رقيم باللغة الأكدية يعود الى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد وجد في كبادوكيا، كما عثر على رقيم آخر في الدولة– المدينة ماري قرب الفرات يذكر اسمها. ووجد رقيم ثالث يشير الى تقدم الملك الآشوري تكلات بلاسر الأول "١١٧٠–١٠٨٠ق.م" نحو الصحراء السورية مهاجما الآراميين في مدينة "تدمرتا– آمورا" أي تدمرتا الآرامية. والأرجح ان تدمورتا لفظة آرامية تعني "العجيبة" أو التي تثير الاعجاب (١).. مما يدلل على انها مدينة أنشأها الآراميون في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد حينما اجتاحوا شمال سوريا والعراق وأسسوا عدة مدن وبعض من دويلات المدن. وهكذا أصبحت تدمر مركزا لطريق القوافل الآشورية والبابلية والفارسية واليونانية القادمة (٢). وعندما غزا الاسكندر الكبير بلاد سوريا دعيت تدمر بـ "بالميرا" Palmera أي مدينة النخيل!، وبقي اسمها الأجنبي يستعمل حتى الوقت الحاضر الى جانب اسمها الآرامي. وأول المؤرخين الذين ذكروا مدينة تدمر في زمن الرومان كان "بليني" باسم بالميرا ايضا. وظلت منذ ذلك الحين تدمر مدينة عامرة ونمت تجارتها تدريجيا حتى أصبحت مركزا رئيسيا لمرور القوافل في الصحراء السورية للتجارة مع الجزيرة العربية والعراق والخليج. وكانت لغة أهلها نبطية أي خليط من اللغتين العربية والآرامية شأن مدينة سلع "بترا" المركز التجاري الأول الذي نشأ على حافة الصحراء، لكن كتابة المتعلمين والتجار في الهلال الخصيب كانت بالآرامية فهي كذلك لغة الدبلوماسية حتى القرن السابع الميلادي حينما شاركت اللغة السريانية واللغة العربية في تفاهم أقوام تلك البلاد، بعد ازدياد هجرة القبائل العربية الى العراق وسوريا.

كان أهل تدمر من اهم التجار في الهلال الخصيب حتى سقوط دولة تدمر، وكانت لهم مراكز في بصرا ورصافا وخارسين "المحمرة" وحطرا "الحضر" وغيرهما، حتى ذكر انه كان لديهم معبد خاص بهم في مدينة خارسين. وكانت أهم بضائعهم تشمل الطيب والتوابل والأخشاب الجيدة واللآلئ والأوعية الزجاجية والتماثيل التي كانت تصنع في فينيقية "لبنان" (٣).

بعد ان قضى الفرس الساسانيون على مملكة حطرا "الحضر" ومملكة ميشان التي كانت تضم الأحواز والخليج، وذلك في عام "٢٦٦م" منع الفرس من وصول تجارة التدمريين الى الخليج، لذا تأثرت تجارة تدمر وأصبح طريق القوافل يتجه شمالا عبر نصيبين وماردين وغيرها بالإضافة لطريق الجزيرة العربية الذي يمر ببصرا.

وخلال هذه الفترة، سعى الملك اذينة ملك تدمر الى تطوير جيشه بمساعدة سادته الرومان، فقسمه الى كتائب مقاتلة واخرى مساندة، وتشجّع في اختراق الأراضي الرافدينية التي تسيطر عليها الفرس وهاجم ونهب عشرات المدن في طريقه الى العاصمة قطيسفون مرتين خلال الأعوام "٢٦٢–٢٦٧" لكن بعد ذلك أغتيل اذينة في ظروف غامضة من قبل أقربائه، ربما بتشجيع الرومان.

وحيث ان ابنه الكبير كان لا يزال شابا يافعا، لذلك تسلمت أمه زنوبيا الحكم وكانت امرأة تميزت بالشجاعة والطموح والحزم، ويبدو انها كانت تؤمن بتوسيع حدود مملكة تدمر عبر الصحراء، بعد ان ضعفت موارد تدمر التجارية والاقتصادية، فقادت جيشها واحتلت ايمسيّا "حمص" ودرمشق "دمشق" ثم اتجهت جنوبا مكتسحة جميع المدن على حافات الصحراء السورية ووصلت بجيشها الى غزة وعبرت نحو مصر ودخلت بجيشها عاصمة مصر ففتحتها في عام "٢٧١" ولقبت نفسها وابنها الشاب لقبين ملكيين هما "اوكستا" و"اوكستس". كما إدّعت انها من اقارب الملكة كليوباترا، لكن المصريين لم يعيروها اهتمام فعادت الى تدمر. وكان ذلك فاتحة لتوسع فضفاض لمملكة تدمر لفترة قصيرة جدا، كما كانت بداية النهاية لهذه المملكة.

بعد هذا التوسع المفاجئ، استعد الأمبراطور اورليان لتلقين الملكة زنوبيا درسا لم تنساه، فنزل جيشه على سواحل ميناء سلوقية، وبعد معركتين حاسمتين في انطاكيا والاخرى في اميسيا "حمص" هُزمت زنوبيا، وسحبت فلول جيشها للتحصن في تدمر. وبعد حصار دام بضعة أشهر، هربت زنوبيا، ولكن أمكن ملاحقتها وإلقاء القبض عليها أثناء عبورها نهر الفرات متجهة الى قطيسفون. وخلال ذلك تم فتح تدمر ومعاقبة مستشاري زنوبيا وقتلهم، كما استولى اورليان على كنوز الملكة زنوبيا، ووجد ابنها الشاب مقتولا أثناء حصار المدينة، فأخذها أسيرة مع ابنها الآخر أو ابنيها الصغيرين، ودخل روما منتصرا في عربة مطهمة، بينما سارت زنوبيا مقيدة خلف عربته. لكنه أخيرا عفا عنها متأثرا بشخصيتها القوية، ونقلها الى قصره في تيفولي قرب روما حيث عاشت فترة ثم ماتت في الأسر، وفي مصدر آخر انها تزوجت من روماني وعاشت مع ابنها هناك حتى توفيت في نهاية القرن الثالث الميلادي.

عادت تدمر مدينة تابعة للرومان، وقد أرسلت كتيبة تسمى "اللجيون الاليري" من قبل الامبراطور تيودوسيوس الثاني "٤٠٥–٤٠٨" لحراسة المدينة والمحافظة عليها ومراقبة الحصن الدفاعية في المدن المتاخمة مثل سرجيوبوليس "رصافا". وفي عام "٥٢٧" أرسل فريق بصحبة القائد "ارينوس" الى تدمر لترميم اسوارها وقلاعها ولتكون مركزا لمقاطعة فينيقيا– لبنان (٤).

كان بعض ملوك الغساسنة في القرن الخامس الميلادي قد اتخذوا من تدمر مركزا لحكمهم على قبائل ال جفنة وتغلب وبقايا القبائل الآرامية، وأصبحت الصحراء السورية تحت سيطرتهم. وفي القرن السادس نقل الغساسنة مركز حكمهم الى مدينة سرجيو بوليس*، اما مدينة بصرا فقد بقيت مركزا دينيا للغساسنة الذين كان كثيرا منهم ومن ملوكهم قد اهتدوا الى المسيحية، واستمر الأمر حتى أواخر القرن السابع حينما انتقل مركز رئيس الأساقفة من السريان الأرثوذكس الى دمشق.

بقيت مدينة تدمر حتى القرن الثامن، حينما دمرت وخربت في عهد الخليفة الأموي مروان الثاني كما جرى قتل معظم أهاليها بسبب الصراع فيها بين القبائل القيسية واليمانية وذلك في عام "٧٤٥".

كانت المصادر العربية قد اختلفت في رواياتها بشأن بناء مدينة تدمر وكذلك فيما يتعلق بحياة ونهاية الملكة زنوبيا. واعتمدت تلك المصادر على روايات معظمها من نسج الخيال تتعلق بملكة تدعى الزبّاء التي جُعلت ابنة للملك عمرو بن الظرب بن حسان العمليقي الذي ملك على الجزيرة وأعالي الفرات ومشارف الشام، فجرت بينه وبين جذيمة بن الأبرش ملك الحيرة حروبا انتهت بمقتل عمرو بن الظرب وتولي المُلك بعده ابنته الزباء التي سميت كذلك لطول وغزارة شعرها..الخ. وفي رواية اخرى ان تدمر بناها سام بن نوح، ومنهم من يزعم ان بانيها جماعة من الجن (٥). وجاء في الكتاب المقدس "التوراة" ان الذي بنى تدمر أو أمر ببناءها النبي والملك سليمان بعد نهاية عشرين سنة من حكمه على مملكة يهوذا، وكانت من جملة المخازن التي بناها في جهة حماة (٦).

وورد مثل ذلك في قصيدة للشاعر الجاهلي النصراني النابغة الذبياني:

ألا سليمان إذا قال الاله له

قم في البرية فاحددها عن الفند

وجيش الجن اني قد أمرتهم

يبنون تدمر بالصفاح والعمد

أما بقايا أبنية تدمر فلا تزال مهيبة، وتتضمن قوسا للنصر ومسرحا رومانيا ومعبدا للاله بعل ومعبدا آخرا للاله الرافديني نابو "اله الحكمة" وكذلك قاعة للولائم وبقايا السور، ويعتقد ان معظم هذه الأبنية الباقية قد شيدت في القرنين الثاني والثالث الميلاديين أي في زمن حكم الملك اذينة والملكة زنوبيا. وتبعد تدمر عن حمص زهاء "١٤٠كم" بينما تبعد عن دمشق حوالي "٢٧٠كم".

الهامش:

* سرجيوبوليس: سميت رصافا بسرجيوبوليس في القرن الخامس الميلادي، وكانت مدينة رصافا قد أسسها أحد الملوك الآشوريين في القرن التاسع ق.م باسم راسابا.

المصادر:

١. Assaad,K.and Taha,D.PALMYRIA. Damascus: Al-Incha press, 1966.(p.5-10)

٢. الحلو، عبد الله. صراع الممالك في التاريخ السوري القديم. بيروت: بيسان، ١٩٩٩ (ص٣١٩).

٣. علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٩ (جـ٣/ص٧٦–٨٠).

٤. Assaad,K.andTaha, O. PALMYRIA. Loc Cit (p.65)

٥. وجدي، محمد فريد. موسوعة القرن العشرين. القاهرة: ١٩٦٧ (مج ع/ص٥٢٥–٥٣١).

٦. الكتاب المقدس/ العهد القديم. سفر أخبار الأيام الثاني: الاصحاح الثامن– آية ٥.

الرقص على انغام الغرباء

عصام سليمان ـ تلكيف

تتناقل الأجيال بمرور الزمن أساليب العيش وأخبار المجتمعات ودرجات رقيها من جيل لآخر ونتاج الذاكرة الأنسانية يجمعه التاريخ في مصطلحه الضخم المستوعب لآلاف السنين منذ بداية أكتشاف النار وحتى العصر المتحضر.

والعراق من البلدان القليلة في العالم التي تتمتع بتاريخ فريد ومتقلب شهد تكالب دول وشعوب بعيدة وقريبة على هذه البلاد لأسباب معروفة تتعلق بالثروة المتمثلة بالماء والارض الخصبة.

وإذا تصفحنا أوراق التاريخ العراقي لوجدناه عاجزا عن الإحاطة الكاملة بعدد الغزوات وحجم الموجات البشرية التي تدفقت على بلاد ما بين النهرين، ففي بعض الحالات رحل القادمون الجدد بعد ان نهبوا وسرقوا خيرات مدنها، وفي احيان اخرى طاب لهم المكوث وشكلوا جزءا من النسيج الاجتماعي العام للبلد. واليوم يمكننا ان نلاحظ صلات القرابة الواضحة بين بعض هذه المكونات وبين شعوب في اسيا الوسطى والقوقاز واليمن وبلاد فارس وشبه جزيرة العرب وبلاد الشام، وعليه يمكننا ان نعتبر العراق نقطة التقاء بين جميع الاسماء التي ذكرناها، وسواء انقرض الأسلاف أو مازال أبنائهم يتوارثون القابهم.. يبقى الاعتراف الاجتماعي الحالي بهم دليلا على انهم كانوا ولا يزالون من سكان العراق.

وتجري العادة في المجتمع ان يتناقل الآباء اخبار اسلافهم واخبارهم ويقصونها على الأجيال القادمة من ابنائهم واحفادهم، ونحن على سبيل المثال سمعنا عن اجدادنا انهم كانوا قرويين جبليين بسطاء يعتمدون في غذائهم على منتجات الأغنام وخبز الذرة ويكثر في قراهم الجوز والزعرور والماء العذب.

عاشوا في ظل ملكية مستقرة وجمهوريات متقلبة بتميزات شخوص الحكم في بغداد.. وفي مرحلة لاحقة اجبروا على ترك مواطنهم ونزحوا الى المدن وعانوا الأمرين كمهاجرين جدد ريثما استقروا فنقلوا لنا صورة ايجابية عن الإعمار والرفاه في الستينات والسبعينات من القرن الماضي حيث اعتبروا تلك الفترة عقودا ذهبية بسبب ارتفاع معدلات الأجور وتوفر الغذاء بأثمان بخسة وخدمات مقدمة من الدوائر الحكومية على اكمل وجه بحيث تحولت بعض المدن مثل بغداد الى روضة من رياض الجنة كما تقول المطربتنا الراحلة اسمهان.. ولكن عن فيينا. وعندما حان دورنا في الكلام لنستعرض الاحداث التي عاصرناها تثاقل اللسان لأننا لم نبصر شيئا منذ ان ابصرنا النور سوى الحروب، فذاكرتنا مثلا تبدأ بقصف مدرسة في الحرب مع إيران، لتتحول الى الهلع الذي عشناه في حرب الكويت مرورا بالجوع في حصار اميركا للعراق ومن ثم حربها المباشرة معه، وحاليا في الحرب على الإرهاب داخل احيائنا السكنية، ونخشى لو بقينا على هذه الحال ان لا ننجب أولادا لكي ننقل لهم الصورة التي عشناها، وحتى لو تزوجنا وانجبنا بعد عمر طويل قد لا نملك الوقت الكافي لذكر تلك المأسي..

ونكتفي بأن نسدي نصيحة للأجيال التي تلينا ونقول لهم: إذا بقيت الأمور على ما هي عليه لا تتطلعوا الى المستقبل او التغيير كما فعلنا نحن لأن العراق في كل يوم جديد يبدو السوء فيه اكثر من الأيام السابقة. ولا تسمحوا للماضي أن يتمكن منكم فتحاولون استرجاع ذكرياته وامجاده، فماضيكم الذي هو يومنا هذا لا تشرف ذكراه المسامع ولا تسر رؤياه العيون، فأبقوا في هموم يومكم كما هو ولا تحيدوا عنه خطوة واحدة نحو الوراء او الأمام، فالماضي يعرف بكل تفاصيله بالألم والمرارة، والمستقبل يبدو بخيلا في تباشير الخير، والعراق ابواب مفتوحة على مصراعيها امام قارعي طبول الحرب، وهكذا سقطت نينوى وبعدها بابل ورقصت على نفس الأنغام بغداد في دماء دجلة بأمر من المغول، وقبل سنوات سقط عليها من القذائف والصواريخ ما يكفي لفرش الدمار على كل شبر من ارضها.

حدث كل ذلك في ايامنا المعاصرة وستستمر الحالة كما هي اليوم طالما بقي العراق مستعدا دائما للرقص على انغام الغرباء لتأخذه الدوامة كلما لعبوا بأوتار ربابتهم الساذجة واحسنوا التلاعب بفتحات الناي لينتجوا لنا الحانا ورقصات دموية لا تناسبنا لأنها ليست صنيعة ايدينا ولا من إفرازات ذوقنا العام واملنا في الحياة بسلام.

القرار السياسي الوطني مرهون بمصلحة العراق وهموم شعبه الصابر

أبو حيدر المولى

منذ زوال السلطة السابقة وبداية العهد الديمقراطي الجديد والقادة العراقيون وعلى كافة مستوياتهم وتشعب حركاتهم السياسية ومسؤولياتهم الرسمية يحرصون أشد الحرص على استقلالية القرار العراقي، ويدفعون بكل قوة في سبيل إنتزاع السيادة من يد السلطات من يد السلطات المحتلة لتكون بأيد عراقية وإشراف عراقي برغم كل الظروف والصعاب، وحاجة البلاد لدعم قوات الإئتلاف للإسناد الأمني. وقد تأكد ذلك جليا في إلحاح القادة الوطنيين على ضرورة تسليم الملف الأمني للمحافظات تباعا الى قوات الحرس الوطني والشرطة الوطنية.

وبعد ان تم تسليم السيادة كاملة في عام ٢٠٠٤ أشرفت الحكومة الوطنية على تولي الإنتخابات والاستفتاء عام ٢٠٠٥ وأثبتت للعالم ان القيادة السياسية العراقية جديرة بتولي أمور البلاد وإعادة العراق الى ما كان عليه وسط المنظومة الدولية، وبرغم ما ظهر من دول المحيط الإقليمي والدولي فإن القيادة العراقية قد حاولت التخفيف من تأثير بعض الصراعات الدولية والإقليمية، ولم يدخر جهدا في ان تكون الطرف المؤثر كما فعلت في دعوة الولايات المتحدة وايران الى إجراء حوار بناء بينها لحل المشاكل العالقة وإبعاد العراق عن تلك المشاكل وما ينجم عنها من تداعيات. ومن هذه المواقف الوطنية فهمت كل الأطراف التي لها أجندتها في العملية السياسية العراقية ولها أجندتها فيما بينها.

ان العراق لن يكون ساحة لأي صراع من بين طرفين ولن ينهج سياسات السلطة البائدة في الإعتداء على دول الجوار سواء كان ذلك جراء سياساتها الهوجاء أو تنفيذا لمخططات مشبوهة مفروضة. وعليه فإن العراق بعد اليوم لن يكون ساحة لتصفية حسابات أو آلة لتنفيذ الأطماع التوسعية.

ولعل الزيارات المتعاقبة التي قام بها ويقوم بها المسؤولون العراقيون وفي فترات متقاربة الى جميع دول الجوار ودول العالم تؤكد بوضوح هذه الإستقلالية وخاصة سوريا وايران، فالمعروف ان الولايات المتحدة الاميركية تختلف مع الحكومتين الايرانية والسورية وتكاد تكون العلاقات بينهم متشنجة ومقطوعة وما زالت الولايات المتحدة الاميركية تهدد الدولتين سوريا وايران وتنتقد سياستهما بمناسبة وبغير مناسبة لكن ذلك لم يمنع المسؤولين العراقيين من الزيارات المستمرة لايران وسوريا وتوثيق العلاقات والروابط السياسية والأمنية والتجارية والثقافية معهما مع وجود القوات الاميركية على الأراضي العراقية. معنى هذا ان الولايات المتحدة الاميركية لا تستطيع فرض املاءاتها على القيادة في العراق وتسييرها حسب ارادتها.

وخير دليل وشاهد الزيارة الأخيرة التي قام بها فخامة السيد جلال الطالباني رئيس جمهورية العراق الى الشقيقة سوريا على رأس وفد عال المستوى وتوقيعه اتفاقيات أمنية واقتصادية وثقافية وسياسية واسعة.

ونجزم ان في ذلك وأدا ولجما لكل التخرصات التي تتحدث عن الحقوق والشرعية محاولة إسقاطها عن كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية. كما ان قرارات المجلس الأعلى للقضاء العراقي أثبتت بجلاء استقلاليتها عن كل تسلط بما في ذلك السلطات العراقية حيث أصدرت المحكمة الجنائية العليا أحكامها باعدام رموز السلطة السابقة وبعض مرتكبي الجرائم الكبرى برغم المعارضة الاميركية والبريطانية وبعض المنظمات الدولية ولم تأخذها في الحق لومة لائم.

ولم يكن البرلمان الوطني العراقي بعيدا عن ذلك فهو يمارس نشاطاته ويصدر القرارات ويلغي الاخرى استجابة لمتطلبات المرحلة بعيدا عن كل مؤثر خارجي اقليمي أو دولي.

لا شك ان جميع الدول التي تعرضت للحروب وخضعت للإحتلال ظلت سنينا طويلة لا تمتلك حكوماتها حرية إصدار القرارات أو إلغائها حتى وإن أصبحت تلك الدول متطورة سياسيا واقتصاديا. لكن القيادة العراقية امتلكت زمام المبادرة متخذة القرارات الجريئة مع العراق بالتصدي لأعتى هجمة إرهابية تشيع الفوضى والخراب في مفاصل حياته العامة. ان مثل هذه الإستقلالية تجعل المواطن العراقي ينتظر المزيد من حكومته الوطنية طالما انها سارت وفق مصالح شعبها ووطنها ومتطلبات علاقاتها مع العالم.

تلسكوب المستقبل يرصد ولادة النجوم الأولى

بقلم: بول رينكون

عن الـ: (بي بي سي)

يبدو أن مهمة تلسكوب الفضاء هابل أضحت أصعب من أن يتم المضي قدما فيها أو السير على خطاها. فمنذ إطلاقه عام ١٩٩٠، أصبح تلسكوب هابل أحد أهم الأدوات في تاريخ علوم الفضاء، إذ أدّى إلى اكتشافات أغنت إلى حد كبير فهمنا لطبيعة الكون من حولنا. والدكتور جون ماثر هو أكثر من يدرك هذا الألق الذي رافق التلسكوب الشهير، كيف لا وهو كبير العلماء في مشروع التلسكوب الذي سيخلف هابل، أي تلسكوب جيمس ويب الفضائي "جي دبليو إس تي".

تلسكوب جديد

الدكتور ماثر البالغ من العمر ٦٠ عاما منخرط في مشروع جي دبليو إس تي منذ بدايته، فهو منشغل بإدارة عملية إنشاء التلسكوب الجديد في مركز جودارد لطيران الفضاء التابع لوكالة الفضاء الأميركية– ناسا– في ولاية ميريلاند في الولايات المتحدة الأميركية. وهو أيضا حائز على جائزة نوبل للفيزياء، وهي الأولى في تاريخ ناسا، إذ فاز بها عام ٢٠٠٦ مناصفة مع جورج سموت لعملهما على القمر الصناعي "مكتشف الخلفية الكونية"، المعروف باسم كوب. وقمر كوب هذا هو الذي تمكن من التقاط التبدلات الطفيفة لدرجات الحرارة في إشعاع خلفية الموجة الكهرطيسية القصيرة جدا للكون، وهي ما تعرف باسم "شفق أو انعكاس الانفجار الكوني الكبير". تشكل المجرات والكواكب الأولى وتلك التغيرات هي التي أشارت إلى فروقات الكثافة التي أدت بشكل حتمي إلى تشكل المجرات والكواكب، وهو الشيء الذي أسماه العالم البريطاني الشهير ستيفان هوكينغ بـ "أهم اكتشافات القرن، إن لم يكن الأهم على مر العصور".

وفي مقابلة مع بي بي سي خلال اللقاء الشتوي الذي عقد في مقر جمعية الفضاء الأميركية في مدينة سياتل، قال الدكتور ماثر إن هناك توقعات كبيرة يتوخاها مجتمع علماء الفضاء والعامة من تلسكوب جي دبليو إس تي. يقول الدكتور ماثر: "الكل يحتاج إلى خليفة لهابل. وإن لم يكن البديل موجودا، لتلهف الناس وتحرقوا كل يوم من أجل إيجاده. من هنا، كان علينا إيجاد شيء ما".

أهمية قصوى

وأضاف أن هذا الشيء "تم تحديده كأهمية قصوى بالنسبة للأمة "الأميركية"، ولذلك فنحن الآن بصدد إنجاز هذه المهمة". إلا أن تلسكوب جي دبليو إس تي، الذي أطلق عليه هذا تيمنا باسم المدير السابق لناسا، لن يقوم بتكرار واجتراء المنجزات العلمية التي أنجزها خليفته هابل. فبينما كان هابل يرصد الكون من خلال العدسات وأطوال الموجات للأشعة فوق البنفسجية، سيركز جي دبليو إس تي بشكل أساس على الأشعة تحت الحمراء. يقول الدكتور ماثر: "هذا التلسكوب سيقوم بتوسيع دائرة العلوم التي كان هابل رائدا لها، ولكنه سيغطي أيضا مناطق مختلفة من أطوال الموجات".

الأشعة تحت الحمراء

ويضيف: "يبدو أن الأشعة تحت الحمراء ستكون ميدان العلم الجديد حيث سيكون لهذه المهمة ميزة فريدة وخاصة". ولعلم دراسة الأشعة تحت الحمراء أهمية خاصة في فهم العمليات التي جرت خلال البدايات الأولى للكون.

يقول الدكتور ماثر إن مهمة جي دبليو إس تي ترمي إلى فحص كل مرحلة من مراحل التاريخ الكوني وإن الأولويات العلمية للمهمة تندرج تحت أربعة مواضيع رئيسة هي كالتالي: نهاية "العصور الكونية المظلمة، تشكل المجرات، ولادة النجوم وأنظمة الكواكب الأولى، أنظمة الكواكب وأصل الحياة". يقول الدكتور ماثر: "نعتقد أننا نعلم الآن الظروف المبدئية لنشوء الكون، على الأقل بطريقة إحصائية". ويضيف: "لدينا اتفاق عالمي بأن نظرياتنا تظل فاعلة وتحرز تقدما تدريجيا حتى نصل إلى مرحلة بداية تشكل الكواكب الأولى. وفي اللحظة التي تبدأ تلك الأشياء الممتعة بالحدوث، تتلألأ النجوم وتتشكل المجرات، وعندئذ لا تعود كل هذه النظريات كافية".

الزواج المقدس.. في وادي الرافدين وافقتها عشتار

عبد الكريم علي الوائلي

لقد كان طقس الزواج المقدس أو الهيروغاميا، واحدا من أهم الطقوس لدى الشعوب الزراعية القديمة، ولم تكن ثمة حاجة لشرح مغزاه وأهميته لأحد. فالدور الحاسم للعنصرين الذكري والأنثوي واضح وضوحا تاما في أساطير خلق العالم وتنظيم بنائه، وكان هذا الزواج الالهي بين الارض والسماء يستعاد دوريا في الطبيعة، في صورة الأمطار والبرق مثلا ويضمن لها انبعاثها الفصلي، وقد كرره الناس ايضا لانهم اشتروا بسابقة جاءت في واحدة من المؤلفات الهندية القديمة "هكذا فعل الالهة، وكذا يفعل الناس".

ولكن مثل هذه الطقوس كانت اسرارا، ولذلك كان انعكاسها في النصوص التي وصلت الينا ضعيفا جدا ولا يتناسب أبدا مع اهميتها. ولربما كان طقس زواج آلهة مدينة "اوروك" اينانا وتموز، يمثل الاستثناء الوحيد في هذا الشأن. فقد شكل طقس الزواج المقدس جزءا لا يتجزأ من طقس تتويج ملوك سومر وأكد، ولذلك ورد الحديث عنه في الأغاني التي وصلت الينا من هناك، كما كان طقس الزواج المقدس يؤدي أثناء الاحتفال بالعالم الجديد، وكان الغرض منه هنا هو تجديد الزمن، وتحفيز عمليات التكاثر في الطبيعة، ومضاعفة قوى الاخصاب.

ان العالم الجديد كان بالنسبة للقدماء كما هو بالنسبة الينا اليوم، حدا مهما يقتضي عنده تجديد الزمن، لأن قوى الدمار والخراب تبدأ تسيطر على العالم مع نهاية كل عام. ولكي يمكن تفادي تأثيرها المدمر، كانوا يؤدون شعائر خاصة بما فيها شعائر الزواج المقدس ومع ان بداية العام اختلفت بين بلد وآخر، الا ان المغزى الطقسي للعيد بقي هو نفسه.

لقد آمنوا بان الإتحاد الالهي المقدس يضمن خصوبة الأرض والرخاء للناس ممهدا سبيل انطلاق قوى النماء، ضف الى هذا انه تطابق مع اتحاد عناصر البيئة، ولذلك كان السومريون يحتفلون يوم رأس السنة الجديدة بعيد اتحاد عناصر البيئة ايضا، كما بقي مثل هذه المعتقدات حاضرا حتى وقت متأخر فقد كتب الاغريقي "أسغيلوس" يقول: "السموات كان الحاكم والكاهن هما اللذان يؤديان دور الالهة أثناء إقامة شعائر طقس الزواج المقدس، وكانت أسرار هذا الطقس تؤدي كلها داخل المعبد في مكان خاص، في المخدع الذي يقوم فيه سرير الالهة. وكانت كل حركة من حركات هذا الطقس، وكل وضع من أوضاع فعل التزاوج معللا بسابقة ترجع جذورها الى الأزمنة الميثولوجية. وألقوا بلسان الالهة، أو بمعنى أدق بلسان الكاهنة التي تؤدي دورها شعرا غزليا:

يا زوجي الذي يحبه قلبي
حسنك فاتن وحلو كالعسل
أيها الأسد الذي يحبه قلبي
حسنك فاتن وحلو كالعسل
أخضعتني أنت، فلأرتجف أمامك أنا

في ختام الطقس "تقرر" اينانا "مصير" زوجها، كما فعلت في زمن ما مع دوموزي إذ قررت "ألوهيته" على الأرض. وكان زفاف الالهة يترافق بألعاب تشبه تلك التي تراها في كرنفالات اليوموماكب مرح وحفلات تنكر وتهريج يشارك فيها الأقزام والمشوهون كما كانت تقام مباريات ومنافسات، ومعارك طقوسية وعروض يشوه المشاركون فيها أنفسهم. وعلى هدى هذه المعتقدات نفسها كان القدماء يقيمون في المرج المقدس حفل زفاف الملك الجد طقوسيا على المهره البيضاء.

وبعد "مراسم الزفاف" هذه يقطع الملك حنجرة المهره ويضعونها لتطهى في مرجل كبير، وبعد ان يستحم الملك في مرق المهره، يقيمون وليمة يأكلون فيها لحمها، أما قتل الفرس وأكل لحمها فيرمزان الى التواصل مع جسد الالهة.